الأتحاد السوفيتى وإعادة تأهيل ألمانيا

أ. /سعود شلوان سعود عبيد

- أولًا: مؤتمر وزراء الخارجية:-

منذ هزيمة ألمانيا في مايو ١٩٤٥ وحتى بداية عام ١٩٤٧ تدهورت العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والدول الغربية، حيث اختلفت العلاقات بين أعضاء التحالف الكبير عن زمن الحرب؛ فقد تبدلت العلاقات بين تلك الدول من التحالف والوفاق إلى التوتر الشديد، ونظر كل طرف إلى الطرف الآخر من خلال منظورين مختلفين: الأول كشريك في المفاوضات لحل مثل هذه المسائل ذات الاهتمام العام مثل مستقبل ألمانيا والنمسا. وثانيا كخصم، بمعنى أن كل منهم ينظر إلى الآخر على أنه تهديد محتمل لمصالحه وأمنه[١].

لقد اختلفت متطلبات الأمن الذاتي للاتحاد السوفيتي، وفيما يجب أن تكون عليه ألمانيا بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية عن الدول الغربية [٢]، فقد

(1) William Taubman: Stalin's American Policy: From Entente to Detente to Cold War, Norton, New York, 1982, p. 7.

(٢) كانت فرنسا التي تلاصقها تري اتخاذ إجراءات تخالف في جوهرها ما كانت قد ارتضته الولايات المتحدة وبريطانيا لها، حيث كانت تسعى لتفتيت ألمانيا، من أجل تأمين أمنها فى

أردت موسكو تأمين نفسه ومستقبلها، وذلك بمحاولة توحيد ألمانيا واستقطابها إلى المدار السوفيتي عن طريق دعم الأحزاب اليسارية. فقد كانت لديها عقيدة ثابتة " بأن من يملك ألمانيا ، يمتلك أوروبا"[٣]، أما فى حالة فشل تلك السياسة فإن عليها القضاء عليها وتفتيتها حتى لا تقوم لها قائمة قوية مطلقاً، وإذا كان الاتحاد السوفيتي قد اكتشفت سر التفجير النووي في يناير ١٩٤٩، فقد تطلب تصنيع عدة قنابل منها لردع الغرب –عدة سنوات– [٤] .

ومن الإجراءات الدفاعية التي اتخذها الاتحاد السوفيتي دفاعاً عن أمنه بعد الحرب استمراره فى احتواء دول أوروبا الشرقية التي حررها، فقد كانت القوات السوفيتية المتواجدة في دول أوربا الشرقية تزيد بكثير عن الأعداد المطلوبة أجل الدفاع عن تلك المنطقة الأمر الذي أقلق الغرب، وأعلن أن الاتحاد السوفيتى يهدده بهذه القوات –أي يهدد أوروبا الغربية– ، حيث وصلت أعداد القوات

المستقبل البعيد، هذا في الوقت الذي كانت متطلبات الأمن الأمريكي تعتمد على الردع النووي والأمن الأوروبي الغربي، ومن ثم كان من أهداف واشنطن الإبقاء على القطاعات الألمانية الغربية كركيزة للغرب وكانت بريطانيا تؤيدها فى ذلك . أحمد عبد اللطيف العبار : المرجع السابق ، ص ٥٤ .

(٣) أحمد معوض : صراع حول ألمانيا ، الدار العربية لنشر الثقافة العالمية ، القاهرة ، د. ت. ، ص ١٨ .

(4) Helmut Schmidt, Defense or Retaliation, A German Contribution to the Consideration of NATO's Strategic Problem , Edinburgh, Oliver and Boyd, 1962 . p. 16 .

الروسية بدول أوربا الشرقية إلى ما يزيد عن ٧٠ فرقة عسكرية روسية كاملة [٥]، وثانيا رفضه التوصل إلى أية تسوية من شأنه إعطاء السيطرة الكاملة للغرب على وسط أوربا – ألمانيا –، والتى حرص على ضمها لمناطق نفوه كاملة أو على أقل تقدير السيطرة على جزء منها[٦]، وهو ما أدى إلى فشل اجتماعات مؤتمر وزراء الخارجية Council of Foreign Minister العديدة التى انعقدت عقب الحرب ؛ لإيجاد معاهدة سلام مع الدول المهزومة .

اظهر مولوتوف – وزير الخارجية السوفيتي – خلال اجتماعات مجلس وزراء الخارجية الأربع المنعقدة بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٤٧، موقفا عدائية متنامية تجاه الغرب، متهما إياه بالإعداد للحرب ضد الاتحاد السوفيتي[٧]، ولذلك تفاقمت القضايا الخلافية بين موسكو والحلفاء الغربيين – خاصة بريطانيا – حيث كَانَت لدى وزراء الخارجية وجهاتُ نظر متضاربة ومختلفة حول مستقبلِ كل من شرق البحر الأبيض المتوسطِ وأوربا الشرقية، فهى مناطق إستراتيجية رَأت فيها كل من بريطانيا والاتحاد السوفيتي مناطق ذات أهمية خاصة لهما؛ فطالب

---

(٥) حمادة وهبه مسعد أحمد غنا : سياسة الولايات المتحدة تجاه الأزمات الأوروبية في عهد إيزنهاور (١٩٥٣– ١٩٦٠)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ص ٥٧.

(٦) أحمد عبد اللطيف العبار: ألمانيا الغربية وعواصف السياسة الدولية ، القاهرة ، دار الشعب ، ١٩٧٥، ص ص ٥٥ – ٥٧ .

(٧) بيار ميكال : تاريخ العالم المعاصر (١٩٤٥ – ١٩٩١) ، تعريب يوسف ضومط ، دار الجيل ، بيروت، ١٩٩٣ ، ص ٥٨ .

مولوتوف وصاية سوفيتية على المستعمرات الإيطاليِة السابقِة فى ليبيا، وإعطاء يوغسلافيا ميناءَ تريستا Trieste الإيطاليَ[٨]، والذى أحتل من قبل القواتِ البريطانية والأمريكيةِ –، وإعادة بحث اتفاقية منترو Montreux [٩] ، كما طالب بدور سوفيتي فعال في احتلال اليابان وفي التفاوض معها لعقد معاهدة السلام معها[١٠]، وأرادتْ موسكو فرض سَيْطَرَتها على أوربا الشرقية. وبذلك أنكرَ مولوتوف الحريات السياسية وحقوق الإنسان التي كان ستالين قد أيدها – ولو ظاهريا – خلال الحرب ؛ فرغم تشكيل الأوربيين الشرقيينِ لحكومات ائتلافية أسميا ، فدائما ما حكمت من قبل أحزاب شيوعيةَ سوفيتيةَ الولاءَ .

وعندما تطرق مؤتمر وزراء الخارجية إلى الموضوع الألماني، لم يحدث أي تقدّمِ يذكر؛ فقد كرّرَ مولوتوف نداء ستالين الخاص بسيطرةِ القوى الأربع الكبرى

---

(٨) كان بيفين يتزعم قضية الجانب الغربى ، وهو أمر طبيعى ما دامت الموضوعات التى دارت حولها المناقشات كانت تتصل كلها بالشئون الأوربية : مثل لجنة الدانوب ، والحدود بين ايطاليا ويوغوسلافيا، ومعاهدة الصلح النمساوية . ك. م. وورهاوس: السياسة الخارجية البريطانية بعد الحرب العالمية الثانية، ترجمة حسين القبانى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والإنباء والنشر ، القاهرة ، د. ت ، ص ١٨ .

(٩) فى مارس عام ١٩٤٥ طالبت الحكومة السوفيتية بإعادة النظر فى بما يلائم مصلحتها فى معاهدة الصداقة القائمة بينها وبين الأتراك ، فلما رفض الأتراك مطالبها ، نقضت المعاهدة من جانبها . واستمرت الحكومة السوفيتية بعد ذلك فى الضغط على الأتراك مرات عديدة أثناء ذلك العام . انظر ؛ ك. م. وورهاوس : المرجع السابق ، ص ١٣ ، ١٤ .

(١٠) بيار ميكال : المرجع السابق ، ص ٥٨ ، ٥٩ .

على منطقة الروار، غير أن الدول الغربية رَفضت ذلك، ومن ثم رَفضَ مولوتوف تباعاً الطلباتَ الغربيةَ والتى كان منها العبور الحر عبر منطقةِ الاحتلال السوفيتي إلى برلين(١١).

لقد تباينت أهمية حل المسألة الألمانية بالنسبة للاتحاد السوفيتي والدول الغربية، حيث كانت ذات أهمية اقتصادية كبيرة لكلا الطرفين. فبالنسبة للغرب كانت الصناعة والموارد الألمانية –خاصة الفحم– المحرك الأساسي للنمو الاقتصادي في أوروبا الغربية قبل الحرب(١٢). وطالما ظلت ألمانيا مقسمة إلى مناطق احتلال بدون سياسة اقتصادية مشتركة، فإن اقتصاديات دول أوروبا الغربية الأخرى ستظل راكدة. يعكس هذا الواقع، بعد بعض المكاسب التي تحققت في السنة الأولى بعد الحرب، بدأ الانتعاش الاقتصادي لأوروبا الغربية في التباطؤ بشكل كبير في عام ١٩٤٧. ولذلك كان زيادة المساعدات الاقتصادية من الولايات المتحدة أو إعادة دمج الموارد الألمانية في الاقتصاد الأوروبي الحل لوقف النزيف الاقتصادي في أوروبا الغربية(١٣).

---

(11) William R. Smyser :Op. Cit. , p. 28 .

(12) Fraser Harbutt: "American Challenge, Soviet Response: The Beginning of the Cold War, February- May, 1946," Political Science Quarterly 96 (Winter 1981-82), p. 623-39.

(13) Charles Bohlen, Witness to History, 1929-1969, Norton, New York, 1973, p. 262-63.

أمـا الاتحـاد السـوفيتي فقـد كانـت للمسـألة الألمانيـة أيضـا ذات أهميـة اقتصادية، لكن القضايا السياسية لعبت أيضًا دورًا. على الجانب الاقتصادي، أراد الاتحاد السوفيتي تعويضات من ألمانيا بمبلغ ٢٠ مليار دولار. أراد السوفييت تلك التعويضـات جزئيـاً فـي شـكل شـحنات مـن المصـانع الألمانيـة التـي تـم تفكيكهـا، وكذلك من مدفوعات الإنتاج الألماني. بالنظر إلى الدمار الذي خلفته الحرب، نظـر القـادة السـوفييت إلـى هـذه التعويضـات كمصـدر رئـيس لـرأس المـال لإعـادة الاعمار. على الجانب السياسي، كان السوفيت مهتمين بمنع عودة القوة الألمانية إلى الظهور. ولتحقيق هذا الهدف، طالب وزير الخارجية السوفيتي فياتشيسلاف مولوتوف Vyacheslav Molotov بنزع السلاح الألماني، وإنشاء نظام سياسي ألماني يضمن دورًا مهمًا للشيوعيين الألمان[١٤].

أما مؤتمر وزراء الخارجية فى باريس (١٥ أبريل – ١٦ مايو و ١٥ يونيو – ١٢ يوليـو ١٩٤٦)، فقد تمخض عن الاعترافُ بدورِ موسكو المهيمن في بلغاريا وهنغاريا ورومانيا حدد أعداد القوَّاتِ السوفيتيةِ المسموح لها بالبَقاء فى تلك المنطقة، كما حدّدَ المؤتمر بضعة أيام فقط لمُناقشاتِ المسألة الألمانية (٢٩ أبريل ، ١٥– ١٦ مايو ، ٩–١٢ يوليو ١٩٤٦). ظهرت خلالها المُسَاوَمَات وتضاربت المواقف، مما أدى لتفاقم الخلافات بين الشرق والغرب بدلا من حلها[١٥]، حيث لم

([14]) William Taubman: Stalin's American Policy*:* From Entente to Detente to Cold War , *:* Norton,New *York &* Norton, 1982*), p. 7.*

([15]) Byrnes, Speaking Frankly, p. 159-176 .

يتمكن المؤتمر من تغيير موقف بولندا التي احتلت أراضي ألمانيا حتى خط نهري الأودرنييس [١٦] .

وخلال الاجتماع اتهم بيفن الاتحاد السوفيتي بأنه لا يعمل على تنفيذ قرارات بوتسدام، التي تنص على توحيد الاقتصادي الألماني، ولم يوافق الوزير السوفيتي على هذا الاتهام [١٧]، ورفض برنيز وبيفن اقتراح مولوتوف – للمرة الثانية – الخاص بسيطرة القوى الأربع على منطقة الرور، حيث رفضا إعطاء أي جزء من الاقتصاد الألماني مركز مستقل. فقد كان بيفن يخشى أن يستخدم ستالين أي دور له في منطقة الرور ليحاول السيطرة على اقتصاد المنطقةِ البريطانيةِ، وربما سيطر أيضا اقتصاد جميع مناطق الاحتلال الغربية. وبدلا من ذلك، اقترحا برنيز وبيفن توحيد الاقتصاد الألمانيِ بموجب اتفاقية بوتسدام[١٨]. ورغم موافقة

([١٦]) أحمد عبد اللطيف العبار : المرجع السابق ، ص ٥٩ .

([١٧]) نفسه ، ص ٦٠ .

([١٨]) لم يكن تقسيم ألمانيا إلى أربع مناطق يهدف إلى تمزيق أوصال الاقتصاد الألماني، ولكن أثر هذا الاحتلال أدى إلى هذه النتيجة لأسباب ألقت بها الحكومات الغربية عند أقدام سلطات الاحتلال السوفيتي؛ ففى يوليو عام ١٩٤٦ أعلنت لجنة التحقيق البريطانية أن نفقات منطقة الاحتلال البريطانية فى عام ١٩٤٦ – ١٩٤٧ ستتجاوز ثمانين مليون من الجنيهات الانجليزية، وان هذا التقدير لا يمكن تخفيضه إلا عن طريق الترابط الاقتصادي لمناطق الاحتلال. ولم تكن السياسة البريطانية والأمريكية فى ألمانيا مبرأة من الانقسام، ولكنها كانت متفقة كل الاتفاق فى هذه المسألة وفى انتقادها للسياسة السوفيتية الهادفة إلى انتزاع المصانع الألمانية لضمان الحصول على مبالغ التعويضات. وانتهت النتيجة إلى

مولوتوف على الوحدة الألمانية من حيث المبدأ؛ إلا أنه رفض ذلك الاقتراح. وكذلك رفضه بيدو؛ فقد كانت وفرنسا ما تزال اشد قوى الاحتلال معارضة لتوحيد ألمانيا [١٩] .

ورفض بيفن وبرنيز الموافقة على طلبات مولوتوف الخاصة بالتعويضات، واشتكى من أن بلديهما تدفع ٥٢٠ مليون دولار سنويا لتغذية مناطق ألمانيا؛ لأن الاتحاد السوفيتي، لم ينفذ تعهداته الخاصة بإرسال المواد الغذائية من منطقتِه كما وَعد من قبل. وأشار برينز أيضا إلى أن الاتحاد السوفييتي قد اخذ بالفعل التعويضات من سيليسيا وكونجسبرج[٢٠] .

كانت مطالب وتصرفات مولوتوف توحى بأن ستالين لا يريد عقد معاهدة سلام على المدى القريب مع ألمانيا؛ ففي ١٠ يوليو ١٩٤٦ – قرب نهاية المناقشة حول ألمانيا – أشار الوزير السوفيتي إلى أن بلاده لن توافق على إبرام مثل تلك المعاهدة حتى تقتنع تماما بأن الحكومة الألمانية الجديدة نفذت جميع التزاماتها، بما في ذلك دفعها للتعويضات لعدة سنوات قادمة. وهنا أصاب الذهول

توحيد السياسة الاقتصادية فى منطقتي الاحتلال البريطاني الأمريكي مكونة بذلك ما عرف بالمنطقة المزدوجة منذ يناير عام ١٩٤٧. انظر ك. م. وورهاوس : المرجع السابق ، ص ١٣ ، ١٤ .

([19]) Byrnes, Speaking Frankly, p. 159-176 .

([20]) Byrnes, Speaking Frankly, p. 176 .

برنيز، وتأكد بأن التوصل لمعاهدة سلام مع ألمانيا مستحيلة في ظل تلك الظروف، وأن ذلك لن يتم " لسنوات عديدة قادمة "، وأن هذا قَدْ يجبرُ الولايات المتحدة على تغيّرُ خططِها الخاصة بالانسحاب من أوربا[٢١] .

وربما يؤكد التسويف السوفيتي فى عدم التوصل إلى اتفاق أو معاهدة سلام بشأن ألمانيا ، ما أكده ستالين فى لقاءه مع القيادة الشيوعية الألمانية – فى يونيو ١٩٤٥ – من أنه يتوقع فشل بريطانيا بالتدريج في إدارة منطقة احتلالها ، وأن الولايات المتحدة ستنسحب في غضون عام أو عامين على الأكثر ، وأنه لن يقف شئ في طريق ضم ألمانيا الموحدة إلى النفوذ السوفيتي ، كما أكد على ذلك مرة أخرى فى لقاءه مع زعماء الوفود اليوغسلافية البلغارية – في عام ١٩٤٦ – ، من أن ألمانيا فى وقت قريب ستكون شيوعية وسوفيتية والولاء [٢٢].

وخلال اجتماع مجلس الوزراء في موسكو خلال الفترة (مارس – أبريل) ١٩٤٧، والذي تم تكريسه بشكل أساسي لمعالجة المسألة الألمانية، ولقد طالب الاتحاد السوفيتي بتعويضات من ألمانيا بمبلغ نحو ٢٠ مليار دولار([٢٣]). لقد أثبت

(21) Ibid. .

(22) Roger Gene Miller: To Save a City: The Berlin Airlift, 1948-1949 , Texas A&M University Press, 2000, p. 13 .

(23) Fraser Harbutt: “American Challenge, Soviet Response: The Beginning of the Cold War, February- May, 1946,” Political Science Quarterly 96 (Winter 1981-82), p. 623-39.

مؤتمر موسكو أنه غير قادر على سد الخلاف بين المخاوف الغربية والسوفيتية. فقد رفضت القوى الغربية منح موسكو التعويضات التي كانت حاسمة للغاية للزعماء السوفيت. وبدون التوصل إلى اتفاق بشأن التعويضات، ظل ستالين ومولوتوف غير مستعدين للتسوية بشأن مسألة الهيكل السياسي لألمانيا، ولم يوافقا على المقترحات الغربية بشأن تشكيل الوحدة الاقتصادية المؤقتة لجميع مناطق الاحتلال.

استمر المؤتمر في طريق مسدود لأكثر من ثلاثة أسابيع، حيث كرر كل جانب حججه لنظرائه الصم على ما يبدو. وفي هذا الجو، تحدث جورج مارشال –وزير الخارجية الأمريكي– مع ستالين في ١٥ أبريل ١٩٤٧، كان مارشال قلقًا عميقًا من فشل المؤتمر في التوصل إلى أي اتفاق حول الوحدة الاقتصادية الألمانية، والذي كان له انعكاسات واسعة النطاق. يقول مستشاره، تشارلز بوهلين Charles Bohlen، إن مارشال طلب منه أن يخبر ستالين "مدى خطورة ترك ألمانيا في حالة من الفوضى والانقسام"([٢٤]).

عقب فشل مؤتمر موسكو أعرب مارشال –الوزير الأمريكي– لستالين عن أسفه لانهيار العلاقات السوفيتية الأمريكية، وانهيار التعاون مع الولايات المتحدة، وأن واشنطن كانت تأمل في مساعدة "تلك الدول التي تعاني من التدهور

(24) Charles Bohlen: Witness to History (1929-1969), New York, Norton, 1973, p. 262-63 .

الاقتصادي، إذا لم يتم السيطرة عليها، قد تؤدي إلى انهيار اقتصادي، وما يترتب على ذلك من القضاء على أي فرصة لبقاء الديمقراطية". وفي النهاية، صرح مارشال بأنه يأمل في "إعادة بناء أساس التعاون الذي كان قائما خلال الحرب، وأنه جاء إلى الزعيم – القائد العام– ستالين معه هذا الأمل، والشعور بأنه إذا أزالوا بعض الشكوك ، فسيكون ذلك بداية جيدة لاستعادة هذا الفهم"([٢٥]).

أظهر ستالين في رده أنه لا يشارك مارشال تشاؤمه أو إحساسه بضرورة سرعة حل الأزمة الألمانية؛ حيث قدم أولاً احتجاجًا على أن بريطانيا والولايات المتحدة لم يأخذا مسألة التعويض بجدية كافية.. قائلاً: "ربما تكون واشنطن ولندن على استعداد للتخلي عن التعويضات، لكن الاتحاد السوفيتي لم يستطع ذلك". وعلى الرغم من الفشل في التوصل إلى اتفاق، إلا أن ستالين تبنى نظرة أكثر تفاؤلاً بشأن إمكانية الوصول –على المدى الطويل– إلى حل وسط مقبول للطرفين. ووصف المؤتمر بأنه فقط مناوشات أولى ومحاولة الاستطلاع حول هذا السؤال. وأنها حدثت اختلافات من قبل بشأن مسائل أخرى، وأنه من المحتمل ألا يتحقق نجاح كبير في هذه الجلسة، لكن لا ينبغ أن يتسبب هذا في أن اليائس وفقدان الأمل .. وأنه يمكن التوصل إلى حلول وسط في جميع المسائل الرئيسية

(25) FRUS: 1947, Vol. II, Memorandum of Conversation, 15 April 1947, p. 340-41.

لألمانيا؛ بما في ذلك نزع السلاح والبنية السياسية والتعويضات والوحدة الاقتصادية. ولكن من الضروري التحلي بالصبر (٢٦).

أعطت ملاحظات ستالين انطباعًا بأنه لا يزال غير قلق مثل مارشال بشأن الوضع الذي يتدهور بسرعة في أوروبا، وقد اقنع موقف ستالين الوزير الأمريكي تجاه الآثار الاقتصادية المترتبة على الجمود حول ألمانيا بأن ستالين كان ينتظر فقط، على أمل حدوث الانهيار الاقتصادي في أوروبا الغربية الظروف المواتية لمزيد من التوسع في النفوذ السوفيتي في المنطقة. بصفته عضوًا آخر في الوفد الأمريكي، جون فوستر دالاس، قال: "كان مؤتمر موسكو ، بالنسبة لأولئك الذين كانوا هناك ، مثل البرق الذي أضاء مشهدًا مظلمًا وعاصفًا. لم نر من قبل ضخامة مهمة إنقاذ أوروبا من أجل بقاء الحضارة الغربية". شارك مارشال هذا الرأي ، وعاد إلى واشنطن من موسكو عازمًا على اتخاذ بعض الإجراءات التي يمكن أن توقف التدهور الاقتصادي المتسارع في أوروبا، وتمنع سقوط الغرب تحت سيطرة الاتحاد السوفيتي(٢٧).

---

(26) FRUS: 1947, Vol. II, Memorandum of Conversation, 15 April 1947, p. 343-44.

(27) John Foster Dulles: *War or Peace*, : Macmillan, New York, 1950, p. 105.

إذا كان ستالين ينتظر الانهيار الوشيك للاقتصاد الأوروبي، فإنه لم يظهر ذلك. بدلاً من ذلك، يبدو أنه كان يشك إلى حد ما في احتمال انهيار اقتصادي وشيك في الغرب. في محادثاته مع ممثلي الغرب خلال مؤتمر موسكو، ضغط ستالين على محاوريه لشرح مدى الصعوبات الاقتصادية في الغرب، في حديثه مع وزير الخارجية البريطاني إرنست بيفن في ٢٤ مارس ١٩٤٧، سأل ستالين "ما إذا كانت أزمة الفحم في بريطانيا خطيرة أم أنها مجرد ضجة في الصحافة؟" حتى بعد أن أوضح بيفين نشأة الأزمة وخطورتها، استفسر ستالين مرة أخرى، "هل انتهت الأزمة في بريطانيا؟ هل كان لا يزال خطيرًا؟ "يأتي المرء بعيدًا عن قراءة النص مع وجود انطباع بأن ستالين ظل غير مقتنع بأن الصعوبات كانت شديدة بالفعل([٢٨]).

أقنعتْ اجتماعات مجلس الوزراء الخارجية – فى لندن وموسكو وباريس – الغرب أن الاتحاد السوفيتي يريد الاستمرار فى مباحثات التفاوض دون الوصول لحل في حين كانت القوات السوفيتية تدعم قبضتهم على المناطق التي احتلتها. وكان يخشى من أن مولوتوف لن يوافق على إبرام معاهدة السلام ؛ إلا إذا سمحت لموسكو بفرض سيطرتها الكاملة على ألمانيا، مما يؤدى لسيطرة الاتحاد السوفيتى على قارة أوروبا. ومن ثم أقر – مثل بيدو – خطة تقسيم ألمانيا، ولكن دوافعه كانت مختلفة ؛ فقد أرادَ تَعزيز مناطقِ الاحتلال الغربيةِ كمناطق مستقلة

([28]) FRUS 1947, Vol. II, British record of conversation, 24 March 1947, p. 283.

خالية مِنْ النفوذ السوفيتي . كما رأى فى ذلك الطريق الوحيد للحفاظ على بقاء القوات الأمريكية في أوروبا لمساعدة بريطانيا العظمى ضد الاتحاد السوفيتي [٢٩] .

ومع الفشل فى التوصل مع ستالين على اتفاق بخصوص ألمانيا ضغط بيفن على برنيز للبحث عن بدائل أخرى لإعادَة توحيد ألمانيا، وقد عزز موقف بيفن المحاولات السوفيتية المستميتة للحصول على الأسرار النووية للولايات المتحدة من خلال شبكة تجسسها والتى كان مقرها في كندا، وكذلك الازدراء الذى أظهره السوفييت تجاه الأمم المتحدة ، بعدم حضور مولوتوف إلى الجلسة الافتتاحية للجمعية العامة في عام ١٩٤٦ [٣٠] .

وهكذا فشل مؤتمر وزراء الخارجية فى حل الأزمة الألمانية، فإذا طالب الاتحاد السوفيتى بالإبقاء على ألمانيا كوحدة سياسية قائمة بذاتها ، فقد أراد – كما ادعى – قيام ألمانيا ديمقراطية. لكن الخلاف سرعان ما نشب بين الغرب والشرق حول مدلول الديمقراطية فبأي شكل ترى ستكون ؟ هل ستكون دولة ديمقراطية شعبية – مناهضة للفاشية تبعاً لموسكو؟ أم ديمقراطية – برلمانية تبعاً لواشنطن؟،

([29]) Deighton, Impossible Peace, 81-102; Wilfried Loth, Stalin's ungeliebtes Kind (Berlin: Rowohlt, 1994), 85-86.

([30]) Wilfried Loth, Stalin's ungeliebtes Kind (Berlin: Rowohlt, 1994), p. 85-86.

كل من الحليفين، الشرقي والغربي، اللذين تحولا بالتدريج إلى خصمين، كان يفضل نموذجه الخاص [٣١] .

– ثانيا : إعادة تأهيل ألمانيا :–

كانت الخطوة الأولى التي لجاءت إليها دول التحالف الكبير بعد احتلالها لألمانيا هى إعادة تأهيل الشعب والقضاء على جذور النازية ، وقد اختلفت الحلفاء فى كيفية تنفيذ ذلك ، فبينما رأت بريطانيا أن ذلك يبدأ باستئصال العناصر النازية [٣٢]، رأت فرنسا أن العدوانية الألمانية ناشئة من الدولة الألمانية الموحدة، وبالتالي يجب تقسيم ألمانيا. بينما دافعت الولايات المتحدة عن وجهات نظر تمزج بين المفهومين البريطاني والفرنسي مع التأكيد على الحاجة إلى تغيير القيم السياسية للشعب الألمانى. أما السوفييت، فإنهم رأوا أن المشكلة تكمن فى التركيب الاجتماعي الرأسمالي لألمانيا، وأن إعادة التأهيل تبدأ بحدوث ثورة اجتماعية اشتراكية [٣٣] .

([٣١]) أحمد عبد اللطيف العبار : المرجع السابق ، ص ص ٥٦ – ٥٧ .

([32])Vojtech Mastny : NATO in the Beholder's Eye: Soviet Perceptions and Policies, 1949-56 ,Cold War International History Project, Working Paper No. 35, Woodrow Wilson International Center For Scholar , Washington, March 2002 , p. 7 , 8 .

([33])William R. Smyser :Op. Cit. , p. 31.

وكانت نقطة البداية المشتركة بين دول الاحتلال هى محاكمة قادة النظام النازى فى إطار "محاكمات نورمبرج " وإعدام بعضهم(٣٤)، وفى مناطق الاحتلال الغربية أجبر كل ألماني على ملئ استمارة توضح تاريخ حياته، وتم استعمال الإجابات على تلك الاستمارات لمحاكمة آلاف المواطنين، وذلك تحت شعار محو النازية De-Nazification (٣٥)، وهكذا شنت دول الحلفاء عملية تطهير اجتماعى واسعة أخضعت الشعب الألمانى لإرهاب سياسى شامل طال حتى تلك العناصر التى كانت تعادى الحزب النازى. ولم ينج من تلك العملية سوى العناصر التى وجدها المحتلون مفيدة للمساعدة فى إدارة مناطق الاحتلال (٣٦) . كذلك فقد تم إصدار قانون رقم ٤٦ فى ٢٥ فبراير ١٩٤٧ والذى تم بموجبه إلغاء ولاية بروسيا ، باعتبارها تشكل نواة العدوانية الألمانية (٣٧).

أما الاتحاد السوفيتى فقد اتخذ من منطقته قاعدة لمد نفوذه حتى يتم توحيد ألمانيا ، ومن ثم فقد وضعت خطة لتحويل المنطقة إلى بؤرة لنشر الشيوعية فى ألمانيا ، وقد شرع فى تنفيذها حتى قبل نهاية الحرب (٣٨) ، فبعد تأسيس اللجنة

---

(٣٤) ارهارد كلوس : المرجع السابق ، ص ٤٧١ .

(35) Lucius D. Clay, Op. Cit. , p. 54 .

(٣٦) محمد السيد سليم : المرجع السابق ، ص ٥٣٧ .

(٣٧) ارهارد كلوس : المرجع السابق ، ص ٤٧١ .

(38)David Childs : The Two Red Flags European Social Democracy and Soviet Communism since 1945 ,Routledge, London and New York , 2000 , P. 41 .

الوطنية لألمانيا الحرة خلال صيف عام ١٩٤٣ تحرك ستالين بسرعة ؛ فأرسل فرق من الحزب الشيوعي الألماني Kommunistische Partei Deutschlands (KPD) إلى داخل ألمانيا وراء الخطوط الأمامية للسوفيت بقيادة والتر البريخت[٣٩] .

كان اختيار ستالين لوالتر البريخت ليكون رجله في ألمانيا اختيار شخصى – من قبله – ، حيث كان الأخير يفتقر إلى الشعبية ؛ لكن قوته كانت تكمن في التنظيم ومن ثم يستطيع تحقيق السيطرة التى يريدها السوفيت. فقد ساعد على تنظيم الحزب الشيوعي في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى ، وأصبح ممثل للحزب الشيوعي الألماني في البرلمانِ الألمانيِ خلال السنوات الأخيرة من عمر جمهورية فيمار ، وعندما أرادَ ستالين إعادة تشكيل الحزب الشيوعي الألماني خلال منتصف عشرينات القرن العشرين اعتمد على البريخت ، الذي رمز إلى الحزب الشيوعي الألماني باسم Zelle (الخلية) ، وقد هَربَ البريخت إلى فرنسا عندما وصل هتلر إلى السلطة ، وشارك في الحرب الأهلية الإسبانية . واعترف به المسئولون السوفيت كزعيم محتمل للشيوعيين الألمان ؛ فحملوه إلى موسكو ، وأصبح مواطن سوفيتى وخدم في بيروقراطية الحركة الشيوعية الدوليةِ ، في الكومنترن ، وأخذ يعد نفسه وحزبه لترتيبات ما بعد الحرب .، وأشيع عنه قمعه

(39) Norman M. Naimark, The Russians in Germany: A History of the Soviet Zone of Occupation, 1945-1949 , Cambridge, MA: The Belknap Press of Harvard University Press, 1995 , P. 9 .

لمنافسيه داخل الحزب الشيوعي الألماني . كما عرف عنه ممارسة السلطة بلا رحمة . كما لم يكن أحد يعرف أعضاء منظمة الحزب الشيوعي الألماني أفضل منه. ومن ثم لم يكن – فى رأى ستالين – هناك أفضل منه لفرض السيطرة السوفيتية على ألمانيا(٤٠).

دخلت مجموعة البريخت برلين فى ٣٠ ابريل ١٩٤٥ – قبل اجتماع بوتسدام – . وأختار ستالين والتر البريخت Ulbricht ، كالقائد من قبله لألمانيا وبرلين – وكان الأخير يرأس مجموعة عمل من قبل وزارة الخارجية السوفيتية لدراسة أوضاع ألمانيا بعد الحرب – ، وعقب الاحتلال انتشرت الجماعات الشيوعية الألمانية فى جميع أرجاء المنطقة السوفيتية ، وكما هو مخطط له سيطر هؤلاء على الإدارات المحليَّةَ ، فضلا عن وسائل الإعلام المختلفة وكذا الحركة النقابية (٤١) .

وقد تَأكّدَ كل من السوفيت والبريخت بأنّ موظفي الإدارة الألمانِية الجدد من أعضاء الحزب الشيوعي الألماني أو من الذين عاشوا أو خَدموا في الاتحاد السوفيتي ، وقد عرف السوفيت والبريخت من هؤلاء فيمن يثقون ، ويلاحظ أنهم أدرجوا في القائمة السوداء النازيين الرئيسيينَ فقط بدلا من الوصول إلى

---

(40) .Loth, Stalin's ungeliebtes Kind, P. 20; David Childs : The Two Red Flags , Op. Cit. , P. 41

(41) William R. Smyser :Op. Cit. , p. 31.

المستويات المتوسطة ، كما فعل الحلفاء الغربيين ؛ لكن لم يكِنُ هناك شك فيمن سيتولى السلطة ، فعندما وصل البريخت وجماعته إلى ألمانيا ، أخبرَهم " بأن كل شيء يجب أن يخضع للديمقراطية ، لكن يجب أن تكون الأمور بحزم في أيدينا" [٤٢]، وبذلك سعى البريخت إلى إقامة دولة ستالينية فى ألمانيا[٤٣] .

وبحلول ١٤ يوليو ١٩٤٥ وضع البريخت والمارشال جيورجي جوكوف – قائد قوات الاحتلال السوفيتية – الأساس لأحد عشر منظمات مركزية للحكم والإدارةِ في المنطقةِ السوفيتيةِ ولتكون بمثابة الأساس ، ونواة الإدارة الألمانية عند توحيد تلك البقعة مرة أخرى ، فرغم ممارسة السوفييت للسلطة العليا فقط في منطقتِهم، إلا أنهم كانوا يخططونَ لتوحيّد ألمانيا تحت سيطرتهم[٤٤]، وربما يدل على ذلك أن ستالين قد أشار في أبريل عام ١٩٤٥ إلى أن على كل منتصر في الحرب أن يعرض نظامَه السياسيَ والاجتماعي الخاصَ به ، وهو ما شرع البريخت القيام به؛ فالإصلاحات التي نفذت فى المنطقة السوفيتية كانت أعمق بكثير من تلك التي اضطلع بها المحتلين الغربيين فى مناطقهم، لأنها سعت إلى خلق تغيير جذري فى الأسس الاجتماعية والسياسية لألمانيا [٤٥] .

([42]) Yoram Gorlizki, Oleg Khlevniuk: Cold Peace: Stalin and the Soviet Ruling Circle, 1945–1953 Oxford University Press , 2004 , p. 30 .

(٤٣) ارهارد كلوس : المرجع السابق ، ص ٤٧١ .

([44])William R. Smyser :Op. Cit. , p. 34 .

([45])Loth, Stalin's ungeliebtes Kind, 20.

وكانت الخطوة الأولى ، عندما أعلنت الإدارة العسكرية السوفيتية برنامج إصلاح زراعي ضخم في سبتمبر ١٩٤٥ – بعد مؤتمر بوتسدام مباشرة – ، حيث سعى البريخت وستالين لإيجاد طبقة جديدة من صغار المزارعين الذي من شأنه العمل على ترسيخ نمط جديد للنظام السياسي الألماني مستند على التحالف بين العمال والفلاحين ، غير أن التسرع فى تنفيذ الإصلاح الزراعي خلال موسم حصاد الخريف أدى إلى كارثة ومجاعة كبيرة ، غير أن الذى دافعهما إلى ذلك التحرك السريع هو فرض الأمر الواقع قبل إعادة التوحيد المحتمل [٤٦] .

وقد استفاد من برنامج الإصلاح ما يزيد على نصف مليون مزارع ألماني، رغم تأثيره السلبى على الإنتاج إلا أنه نال شعبية كبيرة في البداية ، كما أنه أظهر مدى الارتباط الوثيق بين ستالين والبريخت، وأن الأول درس الأمور الألمانية بعناية، وفي اجتماع عقد في موسكو، أشار ستالين بأن تعليمات التى وجهت إلى البريخت وزملائه من أعضاء الحزب الشيوعي الألماني – وعلى رأسهم زعيمه فيلهلم بييك([٤٧]) Wilhelm Pieck– أن يكون الحد الأدنى لمساحة حيازات الأراضي

([46]) Childs, GDR, pp. 14 - 16.

([٤٧]) فيلهلم بييك (٣ يناير ١٨٧٦ – ٧ سبتمبر ١٩٦٠م) كان ابنًا لسائق عربة في كودن ألمانيا –والتي هي الآن ضمن الأراضي البولندية– دخل المدرسة أملاً في أن يُصبح نجاراً, وقد قادته خليط الأحداث العالمية والأيديولوجية الحاسمة والطموح السياسي لأن يتجه للنشاط السياسي، وبوصفه نجارًا التحق بأتحاد عمال الأخشاب الذي قاده الحزب الديمقراطي الأشتراكي الألماني "SPD" وأصبح رئيسًا للحزب في مقاطعة المدينة, على

١٠٠ هكتار ، وليس ٥٠ هكتارا كما كان يفضل البريخت ؛ حيث لم يكن يريد أن يصبح أصحاب الحيازات المتوسطة من المعارضين للحزب الشيوعي الألماني ، كما لم يكن يريد أن تتعارض المنطقة السوفيتية تماما مع المناطق الغربية [٤٨].

وكانت الخطوة التالية هى تأميم الصناعة في المنطقة السوفيتية ، بدعوى أن الذى يسيطر على معظمها من النازيين والعسكريين ومجرمي الحرب . وقد سمح ستالين فى أول الأمر بوجود نحو ٢٥ % من الملكية الخاصة فى الصناعة على شكل شركات مساهمة سوفيتية ، إلا أن الملكية الخاصة فى مجال الصناعة انتهت بحلول منتصف عام ١٩٤٦ ، ولم يكتفى ستالين بتأميم الصناعة ؛ بل قام

الرغم من أن غالبية أعضاء الحزب كانوا مؤيدين لحكومة ألمانيا أثناء الحرب كان بييك معارضًا لها مما أدى به إلى الاعتقال ووُضع في سجن عسكري, وعند إطلاق سراحه ذهب إلى أمستردام, وعاد إلى ألمانيا عام ١٩١٨م ليلتحق بحزب جديد التأسيس هو الحزب الشيوعي الألماني."KPD" ، وبتولي النازيين للسلطة في ألمانيا عام ١٩٣٣م, غادر بييك ألمانيا وذهب إلى فرنسا ثم شد رحاله إلى موسكو عام ١٩٣٥م. من ١٩٣٨م إلى ١٩٤٣م شغل بيك منصب السكرتارية الرئيسية لشيوعي العالم, في عام ١٩٤٣م أصبح من مؤسسي الجمعية الوطنية لألمانيا الحرة "NKVD" والتي خططت لمستقبل ألمانيا بعد الحرب وعاد بييك لألمانيا بانتصار الجيش الأحمر عام ١٩٤٥م، وكان محل ثقة ستالين، وأصبح أول رئيس لألمانيا الديمقراطية عام ١٩٤٩م وحتى وفاته ١٩٦٠م .

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D9%8A%D9%84%D9%87%D9%84%D9%85_%D8%A8%D9%8A%D9%83

([48]) William R. Smyser :Op. Cit. , p. 34 .

بتَفكيك عدد لا يحصى من المصانع – وقد بلغ عددها أكثر مِنْ ١.٠٠٠ مصنع – التى غالبا ما نقلت مباشرة إلى الاتحاد السوفيتي [٤٩] .

يرى البعض أن البريخت فشل في توقع رد فعل الألمان تجاه الإصلاح ، فتحت ضغط ستالين تَحرّكَ بشكل– عشوائى وربما متهور لإتمام برنامجِ الإصلاح بسرعة ، ولم يتوقع أن تؤدي هذه التغييرات الهائلة إلى رد فعل عكسى من جانب الشعب الألمانى ؛ إلا أنه مع الانتهاء من التأميمَ والإصلاح الزراعي ، أدركا ستالين والبريخت أنها أوجدت معارضة قوية خاصة بين العمال الذين كان يتوقع أن يكونوا الأساس في النظام الألماني الجديد [٥٠] ، فقد عارض هؤلاء تفكيك المصانع ومعظم الإصلاحات لأنهم فقدوا وظائفهم ، كما كانوا يخشون أن يتم تجنيدهم للعمل في مناجم اليورانيوم ، وقد دفعت تلك الأسباب الكثير من الألمان الشرقيين إلى الفرار إلى مناطق الغربية الاحتلال الغربية ، ومن ثم قامت السلطات السوفيتية بمنع الهجرة مِنْ منطقتِها بحلول ٣٠ يونيو ١٩٤٦ [٥١] .

---

٤٩ – ارهارد كلوس : المرجع السابق ، ص ٤٧١ .

([50])David Childs : The Two Red Flags , P. 42 .

([51]) Naimark, Russians in Germany, p. 168-169.